المدرسة البنائية

لمحة عامة عن المدرسة البنائية في العلاج النسقي:

التعريف:

المدرسة البنائية (Structural School) في العلاج الأسري هي اتجاه نظري وتطبيقي أسسه الطبيب والمعالج النفسي سلفادور مينوشين (Salvador Minuchin)في ستينيات القرن العشرين.

وتركّز هذه المدرسة على البنية التنظيمية للأسرة وكيف تؤثر هذه البنية على سلوك الأفراد داخلها.

الفكرة الأساسية:

"الأعراض التي يظهرها أحد أفراد الأسرة ليست مشكلة فردية، بل هي انعكاس لخلل في البنية أو التنظيم الداخلي للأسرة".

2.الخلفية الفكرية والنظرية:

تأثرت المدرسة البنائية بـ:

نظرية النظم العامة :(General Systems Theory) التي ترى أن الأسرة نظام مترابط يؤثر كل جزء فيه في الآخر.

النظرية السيبرنطيقية :(Cybernetics Theory) التي تشرح التنظيم الذاتي والتوازن داخل الأنظمة.

النظريات السوسيولوجية حول الأدوار والعلاقات والسلطة داخل الجماعات.

ثانياً: المفاهيم الأساسية في المدرسة البنائية:

تقوم المدرسة البنائية على مجموعة مفاهيم مركزية تشكل "لغة" هذا التوجه العلاجي:

1.البنية الأسرية(Family Structure)

هي النظام التنظيمي غير المرئي الذي يحدد:

–كيفية تفاعل الأفراد.

–من يتحدث مع من.

–من يتخذ القرارات.

–ما الحدود بين الأجيال والأفراد.

تُكتشف هذه البنية من خلال الملاحظة الدقيقة لأنماط التفاعل في المقابلات الأسرية.

2.الوحدات الفرعية(Subsystems)

كل أسرة تتكوّن من وحدات فرعية تقوم بوظائف محددة:

وحدة الزوجين :(Couple Subsystem) العلاقة بين الزوج والزوجة.

وحدة الوالدين :(Parental Subsystem) دور الأبوين كراعين وموجّهين.

وحدة الأبناء :**(Sibling Subsystem)** علاقة الإخوة ببعضهم.

الأسرة الصحية هي التي تكون حدود هذه الوحدات واضحة: لا تداخل مفرط ولا انفصال تام.

3.الحدود(Boundaries)

الحدود هي الخطوط النفسية والعاطفية التي تفصل بين الأفراد أو الوحدات الفرعية في الأسرة.

أنواعها:

نوع الحد الوصف الأثر

واضح وصحي يسمح بالتواصل مع احترام الخصوصية توازن أسري

صلب جداً يمنع التواصل والانفتاح عزلة وانفصال

هش أو متسرب تداخل مفرط وغياب الخصوصية فوضى عاطفية

4.التسلسل الهرمي(Hierarchy)

يشير إلى تنظيم السلطة والمسؤولية داخل الأسرة:

في الأسرة المتوازنة: السلطة موزعة حسب الدور (الوالدان يوجهان – الأبناء يتبعون.)

في الأسرة المختلة: يحدث اختلال في السلطة (مثلاً: الأبناء يتحكمون بالوالدين أو أحد الوالدين يستبعد الآخر.)

5.التحالفات والائتلافات(Alliances and Coalitions)

الاتحاد: علاقة دعم وتعاون صحية بين عضوين.

التحالف: تحالف سلبي ضد عضو ثالث، كأن تتحالف الأم مع الابن ضد الأب.

هذه التحالفات تخلق توترات دائمة داخل النسق الأسري وتغذي الأعراض النفسية

6.التوازن الأسري(Homeostasis)

كل أسرة تميل إلى الحفاظ على توازنها الداخلي حتى لو كان غير صحي.

لذلك، عندما يبدأ العلاج ويحدث تغيير، قد تقاوم الأسرة التغيير للحفاظ على توازنها المألوف.

ثالثاً: المبادئ النظرية في المدرسة البنائية

1.السلوك الفردي هو نتاج للبنية الأسرية.

→أي أن مشكلات الطفل مثلاً تعبّر عن خلل في النظام الأسري وليس عن اضطراب داخلي فقط.

2.التغيير البنيوي يؤدي إلى تغيير في السلوك.

→إذا أعاد المعالج تنظيم الحدود والأدوار داخل الأسرة، ستختفي الأعراض تدريجيًا.

3.المعالج هو جزء من النسق المؤقت للأسرة أثناء العلاج.

→أي أنه يدخل بشكل "نشط" في النظام العائلي ليساعد على إعادة التنظيم.

رابعاً: التقنيات الأساسية في العلاج البنيوي

مينوشين طوّر مجموعة من الأساليب العملية لتغيير البنية الأسرية.

فيما يلي أبرزها:

1.الانضمام(Joining)

في البداية، يسعى المعالج إلى الانضمام للنسق الأسري دون تهديد توازنه.

يستخدم أسلوبًا دافئًا ومحايدًا ليُكسب الأسرة ثقته.

<المعالج يتحدث بلغتهم، يشاركهم مزاحهم، ويظهر تفهّمًا لعاداتهم.

2.التشخيص البنيوي(Structural Assessment)

يقوم المعالج بتحليل:

الحدود

التحالفات

التسلسل الهرمي

أنماط التواصل

ويُعبّر عن ذلك في الخريطة الأسرية (Family Structural Map) التي توضّح العلاقات بين الأعضاء.

3.إعادة التنظيم البنيوي(Restructuring)

بعد التشخيص، يبدأ المعالج في إعادة بناء الحدود والأدوار.

قد يطلب من الأسرة أداء تمارين أو مواقف تفاعلية داخل الجلسة لتجريب نمط جديد من التواصل.

4.تمثيل المواقف(Enactment)

يطلب المعالج من أفراد الأسرة تمثيل موقف واقعي يحدث عادة في حياتهم (مثل نقاش حول الدراسة أو المال.(

ثم يراقب تفاعلهم ويُوجّههم لتعديل سلوكهم أثناء التفاعل نفسه.

5.تعديل الحدود(Boundary Making)

يطلب المعالج أحياناً من أفراد الأسرة تغيير مواقع الجلوس أو الأدوار في الجلسة لرمزية التغيير البنيوي.

مثل أن يجلس الأب بجانب الابن بدلاً من الأم لكسر تحالف أمومي مفرط.

6.استخدام المثيرات أو التحدي(Challenging the System)

يتدخل المعالج أحياناً بتصريحات أو مواقف تهز التوازن القديم للأسرة، لتفتح المجال أمام إعادة التنظيم.

7.إعادة التوصيف(Reframing)

يقدم المعالج تفسيرًا جديدًا للمشكلة لتقليل الاتهام وتحفيز التعاون.

مثلاً: بدل "الابن متمرّد"، يقول "الابن يحاول التعبير عن حاجته للاستقلال."

خامساً: أهداف العلاج البنيوي

المستوى	الهدف
البنية	إعادة تنظيم العلاقات بين الأفراد والوحدات
الحدود	جعلها واضحة ومتوازنة
التسلسل الهرمي	تصحيح السلطة لتصبح وظيفية (الآباء يقودون، الأبناء يتبعون)
التحالفات	فك التحالفات غير الصحية وتقوية التحالف الزوجي
التواصل	تعزيز الحوار الصادق بدلاً من الرسائل المزدوجة
الوظائف الأسرية	تمكين كل عضو من أداء دوره بشكل سليم

سادساً: تقييم المدرسة البنائية

نقاط القوة:

-تركيزها العملي والواقعي على التفاعل والهيكل الأسري.

-قابليتها للتطبيق في الثقافات الجماعية (مثل المجتمعات العربية)

-توفر أدوات تشخيص واضحة (الخريطة الأسرية، الملاحظة التفاعلية)

الانتقادات:

-قد تُغفل الجوانب الفردية الداخلية (مثل الصدمات أو الدوافع اللاواعية)

-تحتاج إلى مهارات عالية من المعالج في إدارة الجلسات الأسرية.

-بعض المنتقدين يرونها مباشِرة جداً في تدخلها داخل النسق.